صور الامكنة في رواية (الرقص مع الخيول) لعمر الطالب

بيداء حازم سعدون
مدرس
جامعة الموصل / كلية التربية

الملخص :

يعدّ الفن الروائي في العراق من الفنون الأدبية التي شقت طريقها خلال النصف الثاني من القرن العشرين، فالرواية في العراق جزء من الرواية العربية ، وامتداد طبيعي لها.

يعالج هذا البحث الأمكنة في رواية (الرقص مع الخيول) لعمر الطالب حيث يتجسد المكان ويتطور كالبداية مروراً بموضوعها ، ووصولا" إلى نهايتها من خلال منهج وصفي تحليلي يوضح المكان وأنواعه وأبعاده ، ودلالته بوصفه مكونا" حقيقيا وفنياً في بناء الرواية العربية ، والأجنبية على حد سواء .

وتقع الدراسة في مقدمة ومحورين وخاتمة تضمنت أهم نتائج الدراسة والأحكام التي وصل أليها البحث ثم ذيل البحث بقائمة لأهم مصادر البحث ومراجعهُ مع الإشارة إلى أن المبحث الأول تضمن التعريف بالكاتب عمر الطالب ومكانته الأدبية وإبداعاته بينما تناول المبحث الثاني محور الدراسة المكان في رواية (الرقص مع الخيول) أنواعه ودلالته وصوره وإبعاده .

ولعل أهم الدوافع لاختيار موضوع البحث جاء لقلة الكتابات عن نتاج هذا الكاتب وكذلك اعتقادنا بأهمية الدراسة وحداثتها والآتيان بما هو جديد في هذا المجال وفق رؤية نقدية.

مفهوم المكان :-

للمكان أهمية في حياة الانسان وقيمته الكبرى وميزته التي تشده الى الارض فهو يلعب دورا رئيسيا في حياة الانسان وهو ((القرطاس المرئي القريب الذي يسجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه)) [١] ،ولا يتوقف حضوره على المستوى الحسي وإنما

((يتغلغل عميقاً في الكائن الإنساني حافراً مسارات وأخاديد غائرة في مستويات الذات المختلفة)) [٢] .

إن اختيار المكان وتهيئته يمثلان ((جزءاً من بناء الشخصية البشرية والبحث عن الهوية، والكيان والطريقة التي يدرك فيها المكان يضفي عليه دلالات خاصة فيوحي بذوبان الكيان وتلاشيه)) [٣]. فكل من ((الإنسان والبيئة يحاول جعل الآخر على صورته لحد ما))[٤]،والعلاقة بين الإنسان والمكان ((علاقة مفاعلة)) [٥] وهو وسط غير محدد يشمل الاشياء فهو بهذا المفهوم يكون قابلا للادراك محسوسا ،وهو بطبيعته قد يتنوع مابين العلو والانخفاض ، الاتساع او الضيق ، كالجبل ، الوادي ، الطريق ، وكذلك تتنوع أحجامه ومختلف العوامل الداخلة في تكوينه فهو عند باشلار ما((عيش فيه لابشكل وضعي بل بكل ما للخيال من تحيز وهو بشكل خاص في الغالب مركز اجتذاب دائم)) [٦] .

وترى اعتدال عثمان أن المكان((لا يقتصر على كونه أبعاداً هندسية وحجوماً ولكنه فضلاً عن ذلك نظام من العلاقات المجردة يُستخرج من الأشياء المادية الملموسة بقدر ما يستمد من التجريد الذهني المجرد)) [٧] .

ويرى عز الدين إسماعيل أن ((حقيقة المكان النفسية تقول أن الصفات الموضوعية للمكان ليست ((إلا وسيلة ، أو وسائل قياسية تسهل التعامل بين الناس في حياتهم اليومية)) [٨].

أما تعريف المكان اجتماعياً فهو ((الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه ولذا فشأنه شان أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزء من أخلاقية وأفكار ووعي سأكنيه)) [٩] .

والمكان ايضا عند ياسين النصير ((ليس بناءً خارجياً مرئياً ، ولا حيزاً محدد المساحة ولا تركيباً من غرف وأسيجة ونوافذ ، بل هو كيان من الفعل الميسر والمحتوى على تاريخ ما ، أو المتضمنة أبعاده بتواريخ الضوء والظلمة)) [١٠] .

والأديب المتمكن هو الذي ((يستطيع أن يتعامل مع المكان تعاملاً بارعاً ، فيوظفه توظيفاً فنياً ناجحاً)) [١١]، إلى جانب كونه حقيقيا وبمختلف الأبعاد كالبعد الاجتماعي أو النفسي وكذلك البعد الجمالي .

اذا نستنتج مما سبق ان المكان قائم بنفسه ولايمكن ان نعدمه ، ويكون امرا ضروريا وهو العامود الفقري الذي يربط اجزاء النص الروائي بعضه ببعض .

فقد يكون المكان ((واقعاً جميلاً أو مجرد خيال وأفق يتردد في حياة الإنسان، يرتبط بالتاريخ إلى جانب الجغرافيا وبالأحلام والأساطير)) [١٢] وإن حضور المكان في العمل الروائي، إنما ((يعطي المتخيل مظهر الحقيقة)) [١٣] ، وتحديد المكان يجعل المكونات الروائية (شخصية ، أحداث ، زمان ، حبكة)لكونها من صنع خيال الروائي، تبدو أقرب إلى الحقيقة، فيمكن تشخيص المكان في النص ،مما يجعله يتحكم في الوظيفة الرمزية والحكائية .

إذ ((يتخذ معاني متعددة بحيث يؤسس أحياناً ، علة وجوب الأثر)) [١٤] ،والإحساس بالمكان لا يختلف عنه بالزمان،بل لا يمكن الفصل بينهما، فالنص الروائي ((رحلة في الزمان والمكان)) [١٥] .

ونظرا لتداخل الأمكنة في حياة العرب في حقبة معينة من التاريخ، وتجذرها في كثير من معاناتهم،أصبحت تشكل دلالات ترتبط بشكل أو بآخر بنفسياتهم وسلوكياتهم ، وهمومهم ، وآمالهم وآلامهم، فالمكان يعني : البيئة التي يقطنها الإنسان ، ويتأثر بها ، والمكان يعني : الأرض ويعني المدينة ، أو القرية ، وقد يقصد به السجن ، أو المسجد، وقد يأتي شارعاً ، أو بحراً ، وهكذا وقد يصبح رمزاً للعزة والكرامة وبمعنى آخر : الوطن والهوية .

<u>صور المكان في رواية (الرقص مع الخيول)</u>

لقد حظي المكان كعنصر من عناصر الرواية باهتمام الروائي (عمر الطالب) شأنها في ذلك شأن الكثير من كتاب القصة والرواية ، والقارئ لرواية ((الرقص مع الخيول)) [١٦] . ، يرى بوضوح المكان كواقع حقيقي وكبناء فني وبدرجات متباينة ومتنوعة جزءا لايتجزا من الإعداد للحدث وتقديمه من قبل الروائي في خطابه إضافة إلى تقديم الشخصيات فيعكس نفسياتها وما يدور في دواخلها وليس زخرفا وإضافة لاحاجة لها ولا مسوغ لها ، ، وعلى امتداد مساحة كل الرواية يأتي المكان تجسيداً وتشخيصاً، وأحيانا تضميناً ، وقد استأثرت بعض الأمكنة باهتمامه أكثر من غيرها .و يظهر لنا أن قراءة البنية الفضائية واستنطاقها على مستوى الرؤية ستكشف أن علاقة الشخصية بالمكان ليست طارئة وهامشية وإنما

هي في الصميم حيث أن المكان مؤهل للكشف عن لاوعي الشخصية وحيواتها النفسية والاجتماعية لأنه ببساطة لامعنى ولا دلالة للمكان بعيدا عن الإنسان الذي يقوم بتنظيمه وإجراء عمليات التقطيع في بنيته وفقا لآليات ثقافية محددة ، وقد جاءت صور المكان في الرواية محور الدراسة، متنوعة من حيث طبيعة توظيفه، فظهر بشكل محوري، بحيث تحركت الشخوص، وجرت الأحداث عليه، أو بدا بشكل هامشي، عن طريق استدعائه من بعض الشخوص فظهر توظيفه على نمطين :

وقد ارتائت الدراسة في الحديث عن صور الامكنة في رواية الرقص مع الخيول تقسيمها الى محورين :

المحور الأول :

ويشمل الأمكنة الحقيقية (الواقعية) والمتجسدة بـ (الخيمة و السوق و شارع الكورنيش) .

المكان الحقيقي (الواقعي) وقد تمثل بـ :

الغرفة :

يتمثل المكان الحقيقي الواقعي بـ (غرفة) والد عنقاء: التي وصفها الروائي عبر السرد الذاتي فيقول: ((نظرت إلى الغرفة المليئة بالكتب ذات الكعوب المذهبة والجلود السوداء، وإلى اللوحات الزيتية التي اشتراها من هنا وهناك، وإلى الأثاث ذي الطراز القديم والمخرم والمطعم كأنه الأرابسك ، لقد كان ذهنه مليئاً بالانطباعات الجميلة التي لا نهاية لها، فقد كان مرهف الحس ، تذكرت موته وأنا انظر إلى السيف المغولي، المرصع بالذهب والمعلق على الحائط كأنه يقول : عنقاء لقد تركت لك كنزاً ذلك السيف المغولي، فاحرصي عليه حرصك على بؤبؤ عينيك))[١٧]

يتخذ الروائي (عمر الطالب) في وصفه للغرفة والتركيز على ما تحويه من أثاث تدل على الوضع الاقتصادي الجيد، فيسبغ مشاعر إنسانية على المكان فيتداخل الوصف المكاني مع العلاقات الشعورية واللاشعورية ، لتدل على المعاناة البشرية الذاتية والانفعالية الصادقة ، فالراوي مشارك في الحكي والأحداث ، وهو يتحكم في الوصف مما يجعله يشكل

بؤرة النص ، واعتمد الروائي على الاسترسال في الوصف عن طريق إيراد النعوت الموحية والمجسدة لأبعاد المكان ، وساهم المكان بأوصافهِ المقتضبة أن يمنحنا الانطباع الحسي عن شخصية أبي عنقاء المتوفى واهتمامه المتزايد بالتاريخ ، والذي انعكس على المكان الأثير لديه (غرفة المكتبة) ، التي غصت بالأثاث ذي الملامح التراثية التاريخية العريقة .فانسان هذا العصر امتداد طبيعي لمن سبقه ، ولايمكن ان يتجلى ذلك الا اذا اراد ان يستأصل وجوده من تاريخه المتواصل ، فيصبح المكان خلفة الحاضر الذي تمسك باهداب الماضي في معالمه الحية .

الخيمة

كما شكلت الخيمة مكانا واقعياً وحقيقيا إذ وصفها الراوي عبر السرد الموضوعي من خلال حديثه عن (عنقاء) (تووربـاي) فيقول : ((ارتدت عنقاء / تووربـاي مذعورة إذ لمست سريراً عارياً تمددت عليه أمراة تشبهها مندثرة بأغطية من الوبر وجلود الأغنام ، والخيمة حالكة الظلام تغدو فيها الرؤية صعبة ، أجالت تووربـاي عينيها في أرجاء المكان تلبية لدافع خفي يتلهف على معرفة تلك الخيمة وتذكرها ، وارتفع في الهواء خارج الخيمة ضوء باهت وسقطت تووربـاي على السرير ، وقد تمددت فوقه جثة أمراة شاحبة . إن الموت الصارم البارد الرهيب يحيط بالمكان وسبغ عليه أهوال العدم .

قالت عنقاء / تووربـاي : إنه مكان يبث الرعب في النفوس ، دعنا نغادره وبسط الشيخ رداءه كجناح يمامة أمامها برهة ثم سحبها فاختفى كل شيء)) [١٨] .

وما لاشك فيه أن هذا النص تمتع بلغة سردية متدفقة من خلال وصف المكان ، مما ساعد على خلق فضاءات تسمح بالتزاوج والانشطار مع ظواهر وشبهات الشخصية (عنقاء) المتوترة، وانعطافتها نحو مهارب عديدة ، فالحركة في المكان والتي جاءت في بداية النص متمثلة بالارتداد بسرعة ، لتدل على اضطراب الشخصية فوصف الخيمة بأنها حالكة الظلام ، وسقوطها فوق جثة هامدة تشبهها ((وسم المكان بالانغلاق فقد يصبح وصف المكان في بعض الأحيان رمزاً للواقع الذي يعيشه الإنسان معبراً عن عجزه وضعفه)) [١٩] .

فالوصف المكاني بما يحويه جعل الزمن منفتحاً على ماضي الشخصية وحاضرها ذلك ((إن للماضي في الحاضر بعدين رئيسين ، يفيد أحدهما في إنارة واقع الحدث (المواجهة) ، ويؤشر ثانيهما إلى ما يحتمل أن يقع)) [٢٠] .

السوق :

وجاء وصف السوق كمكان (واقعي) عبر وصف الراوي له عبر السرد الموضوعي في حديثة ووصفه لحالة مختار الذي كان يقصد هذا المكان الذي كشف فيه الراوي عن دينامية المدينة من حيث الحركة كما يكشف السوق بمهارة عن طبيعة الأنظمة السياسية ومدى هيمنتها وسطوتها أو ديمقراطيتها فيقول : ((قصد مختار السوق وهو المكان الوحيد الذي يمكنه فيه أن يجد راحته ، وهو يدرك أن فداحة الأسعار بسبب الحصار والتضخم الوسيلة الوحيدة لزيادة كسبه وتضخيم ثروته / وبدت السوق عاجة بالخلق والغبار والجنود والمتسولين واللصوص ورجال الأمن وهم مسلحون بالمسدسات والسكاكين ، والقوم ينظرون يميناً ويساراً

وإلى فوق حذرا من رجال الأمن واللصوص)) [٢١] .

إن لغة الوصف للسوق بوصفه مكاناً جاءت لتشتغل لا بوصفها قاصدة لذاتها ، بل بوصفها أداة توصيل للنص كخطاب وكمرسلة جمالية ، حاول الراوي من خلال حديثه عن مختار السوق أن يعكس لنا صورة عن الواقع الاجتماعي الذي يعيشه المجتمع في حقبة معينة من تاريخ العراق المعاصر، ألا وهي مرحلة الحرب وما صاحبها من انهيار في القيم والأخلاقيات في المجتمع، وتحول المكان الهادي الذي يلجأ إليه الناس للراحة والتنزه المتمثل بـ (الكورنيش) ،الذي جاء وصف الروائي له عبر السرد الموضوعي من خلال حديثة عن شخصية تيمور فيقول : ((ترك تيمور سيارته السوبر موديل ١٩٩٢ في مرآب عام خشية عليها من السرقة ، فهي تعادل أكثر من عشرة ملايين دينار في سوق (المعارض) ، سار على الكورنيش المتسخ لم يشأ أن يحتك بالقوم الجياع المتدافعين ويستنشق رائحة كل ما جرى له مع عنقاء ، فمشى على ضفة النهر حيث قوارب تجديف

ملقاة على الشاطئ وشباك منشورة على المجاديف / مر بجماعة من الرجال أمامهم جريدة قديمة عليها خبز وبصل ومخلل وملح))[٢٢] .

وبهذا شّكل المكان (الواقعي) معادلاً موضوعيا ، جسّد فيه الروائي الواقع الذي عاشه أبناء الشعب العراقي ، وما عاناه من حرمان وجوع في زمن الحرب والحصار.

أن اختيار أسماء حقيقية للمدن والأحياء والشوارع يعطي القارئ ((أحساساً بأنه يستطيع أن يتحقق من وجودها وأن يذهب لزيارة هذه الأماكن التي زعم الكاتب أنه وصفها)) [٢٣] .

والمكان في حقيقته يعيد ((إنتاج العلاقات الاجتماعية والصراع الأيديولوجي والثقافي على المستوى الفني)) [٢٤] .

ومن ثم فإن حضور الأماكن (الواقعية) بواقعيتها وتاريخيتها إنما يتم ((إعادة إنتاجه وفق مقتضيات وظيفية جمالية وإنسانية)) [٢٥] .

وبما أن الفضاء المكاني يبدعه الخيال وتصوغه اللغة ، فهو يتأسس على ((مستوى اللغة وعلى مستوى المفهوم وعلى مستوى المرجع)) [٢٦] . فهو فضاء له بعدهُ الجغرافي غير أنه ((ليس الجغرافيا ولو أراد أن يكونها ، أنه أكـــبر من الجغرافيا مساحة واشسع بعداً)) [٢٧] .

وبما أن الفضاء الروائي فضاء متخيل بوصفه فضاء فنيا ، والفن يمتاز عن غيره بأنه ((وحده هو القادر على التطواف في مجاهل الزمان والمكان بانفلات دون أن يرتطم ، يستمد قوامها المادي)) [٢٨]

المحور الثاني :

الامكنة المتخيلة (التاريخية) :

ويشمل الأمكنة التي تأتي من صور أمكنة (تاريخية)، وتشكل في مجموعها مكونات أساسية للأمكنة الحقيقية . والمتجسدة ب (المتحف ، المراعي ، مدخل بلاد السه نغ).

المتحف :

والذي جاء وصفه في الرواية على لسان الراوي، عبر السرد الذاتي فيقول: ((حين ذهبت إلى عملي في المتحف تلفتُ حولي دون إرادتي، وأنا في قاعة الآثار والتماثيل، وبي

قناعة بأن أحداً يراقبني ، وإنه واحد من التماثيل ، وهو الذي وصل المكان عن قصد ، وفجأة وقع نظري على رأس فتاة ، استوقفتني تأملتها بها شبه كبير مني ، بوسع المرء إن يشعر بأنه ينتمي إلى فنان ما ، فتاة من العصر المغولي ، في وجه التمثال ضرب من القوة والحلاوة الوحشية،انه مجروح ومثلم بالعنق، وقد لونته وخشنته عواطف شرسة ، إنها من نوع الوجوه التي تملأ المكان بحضورها ، أخرجتُ المرآة من حقيبتي اليدوية، لأتأكد من مقدار الشبه الذي يربط بين وجهي ووجه هذه الفتاة المغولية ، تحركت عنها الفتاة وكأنها تناديني ، اقتربت منها ، همست في أذني ، أنت أنا، ابتسمت حين رأت الدهشة ترسم في وجهي ثم عادت إلى همستها)) [٢٩] .

يحاول الروائي عبر السرد الذاتي التركيز على الأعماق المضطربة للشخصية ((عنقاء))[٣٠] ، التي تنغمس في داخلها الأحاسيس المتضاربة، فهي تركز على وصف المتحف من خلال ما يعتريها من خوف وقلق،حيث شكل المكان (المتحف) وما يحويه في تماثيل وآثار معادلاً موضوعياً لحالة الشخصية (عنقاء)، فالكاتب يتقصى الدقة في تقديم لوحته المكانية بما يتوافق وحالة الشخصية النفسية، ففي المكان ((يتحدد موضع ومحل إدراكنا وهو يحتوي بالتالي على كل الامتدادات اللامتناهية، فهو نظام تسابق الأشياء في الوجود ومعيتها الحضورية في تلاصق وممارسة وتجاور وتقارن))[٣١] ، فاختيار المتحف كمكان، جعله رمزاً واسع الدلالة ،غني الأبعاد، ثري الفكرة باتحادهِ مع الزمن، فضلاً عن إنه شكل وحدة بنائية متواشجة الروابط، متنوعة الملامح .

فالعلاقة تبرز مع صيرورة عكس ((مظاهر العالم الموضوعي، لأنه من غير الممكن فهم الزمان والمكان في معزل عن علاقتها بكشف ظواهر العالم الواقعي)) [٣٢] .

المراعي :

التي جاء وصفها على لسان الراوي عبر السرد الذاتي فيقول : ((تلك المراعي الخضراء التي أراها في أحلامي ترعى فيها قطعان الخيول والماشية ، والحصان الأبلق الذي يصهل عندما يراني ويقتطع وردة بيضاء من الحقل ويهز رأسه لي محيياً ليقدم لي الزهرة ، ماذا حلَّ به في حلمي هذه الليلة رأيته مدمى القدمين مقطوعها لا يكاد قادراً على أن يتبعني ، فهو يجر نفسه جراً صاهلاً مخيفاً كأنما يعاتبني أو يشكو ما فعلوه به)) [٣٣] .

لقد تجلى المكان عبر تقنية الحلم والارتداد ألى الماضي ، فالمكان قد جاء بعد عملية الاختزال في اللاوعي سطوة المخيلة ليغدو المكان مكونا من مكوناتها جراء التفاعلات الغريبة بين الشخصيات في إطارها المكاني ، الذي أستوعب تداخلات الزمن بأبعاده الماضي والحاضر، فالكاتب يمزج بين التاريخي والمتخيل في كيان واحد ينفي عن الرواية تفكك أحداثها وامتياز بعض أحداثها وشخوصها عن بعض ، فتسند الفاعلية لشخصيات تاريخية في واقع الرواية، وكأنها ذوات تعاصرت في زمنها ، فتوظيف المكان تم عبر تقنية الحلم بفعل التداخل بين النوم والحلم ، وبين أحلام اليقظة ، ذلك أن ((حلم اليقظة نشاط حلمي يبقى فيه بصيص من الوعي ، أما صاحب حلم اليقظة حاضر ، في حلمه وحتى عندما يبدو حلم اليقظة هروباً خارج الواقع ، خارج الزمان والمكان ، فإن صاحبه يعلم إنه هو الذي يغيب)) [٣٤] ،فقد يشكل الحلم معادلا موضوعيا للحالة النفسية التي تعيشها تلك الشخصية ، وقد وظف الراوي من خلال السرد الذاتي عبر تقنية الحوار الداخلي وصفه لتلك المراعي وقطعان الأغنام .

ولقد كان للمدن الإيرانية حضورا واسعاً" في تمثيل الأمكنة المتخيلة (التاريخية) ، وتمثلت الأمكنة بالآتي :

مدخل (بلاد السه نغ):

والذي جاء وصفه في الرواية على لسان الراوي عبر السرد الموضوعي فيقول : ((سار القسم الأكبر من الجيش ببطء أكثر إلى الغرب ، منحدراً داخل المضايق متغلغلاً فوق البحيرات المتجمدة ، إلى البطماء المكسوة بالثلوج من مدخل بلاد السه نغ الطبيعي الشديد ، ومات الكثير من قطعان الماشية وذبحوا الكثير منها ، وصرفوا آخر العلف وأصبحوا قبل ذوبان الثلوج في السهول الغربية فحثوا الجياد وساروا مسرعين حول بحيرة (بال قاش) المتجمدة المعرضة للرياح وعندما أعشوا شبت الأرض وتسللوا من آخر مانعة من (قارا طاو) السلسلة السوداء ، وطووا مائتين وألف ميل من سيرهم وهم على جياد هزيلة ، اقتربت الفرق العديدة من بعضها)) [٣٥] .

لقد تمكن الراوي من خلال استعراضه للأمكنة الإيرانية ، أن يجسد الأحداث التاريخية بأمكنتها التي تتسرب لتنبسط أمام القارئ وتشده لمتابعة الأحداث فضلاً عن جعل النص ذي محمولات عدة ودلالات فنية تجعله ينفتح على قراءات محتملة ، ذلك أن ((الوصف لا يأتي

بلا مبرر ، بل إن كل مقطع من مقاطعه يخدم بناء الشخصية وله أثر مباشر أو غير مباشر في تطور الحدث ، وهكذا تلتحم كل العناصر المكونة للنص الروائي وتكتمل الوحدة العضوية للعمل وتصبح الأجزاء المختلفة مرايا تعكس بعضها بعضاً لتقديم الصورة المجسمة)) (٣٦)

فالروائي يوظف السرد الموضوعي عبر راو محايد له القدرة على التنقل بين الأمكنة التاريخية بخيال واسع فيقول : ((سار كبوشي بفرقتيه في بقعة مكتظة بالجنائن والبساتين ، حيث يجد المرء عند كل جدول ماء بقربه تحيط به الأسوار البيضاء ويعلوها مرصد ، وفي القرى ينبت البطيخ والأثمار الغريبة وتعلو المنائر الرفيعة وهي تسمو على أشجار الجوز والصفصاف ، وإلى جانبها يميناً وشمالاً ترتفع التلال السوية والأغنام ترعى في منحدراتها ، ومن ورائها قمم السلاسل المرتفعة المستوردة بالثلوج ، وتنتشر أشجار الرمان المثقلة بالثمر ، والرمانة الواحدة بحجم جمعين ، طعمها مرّ، يملأ عصير الواحدة عدة كؤوس ، وهو شراب لذيذ يطفي الظمأ ، والرقية الواحدة وزنها خمسون رطلا ، والرقيتان حمل حمار ، لقد بدأ بكل ذلك ترفاً لخيال المغولي بعد ما قاساه في المضايف المنجمدة)) (٣٧) .

إن توسيع مجال الرؤية البصرية للأمكنة ((يعد العنصر الحاسم في عملية الوصف والسمع واللمس والحركة والشم ، ومن هنا تتضح أهمية الرؤية بوصفها من أهم القرائن الدالة على الوصف البصري)) (٣٨)

ساهم الوصف المشهدي للأمكنة والممتزج بفعل السرد في عقد المقارنة بين حياة المغول قياساً إلى حياة الترف التي كان يعيشها الشاه وجنوده في بلدهم ، فضلاً عن ان المقارنة جاءت لتبين الحروب الكثيرة التي شنها المغول على البلدان ، ويشترك عنصر الزمان كأداة لا براز المكان المتخيل التاريخي ، من خلال الوصف المشهدي لمدينة سمرقند عبر السرد الموضوعي فيقول: ((تعد سمرقند من أمنع مدن خوارزم وأحسنها تحصيناً ، يبلغ عدد حاميتها عشرة ومائة ألف مقاتل ، وفيها عشرون فيلاً من فيلة القتال التي يلقي مرآها الرعب في القلوب ، فضلاً عن الآهلين المدنيين الذين يمكن تجنيد جيش كامل من بينهم ، أنفق جنكيزخان يومين من الطواف حول المدينة وأسوارها وأبراجها الخارجية وخندقها الواسع العميق الزاخر بالماء ، ليتحسس مواطن الضعف ويحكم خطة الهجوم)) (٣٩)

لقد ساهم الوصف ألمشهدي في إعطاء النص إطاراً زمكانياً ، ذلك ((أننا لا نستطيع أن نتصور أيه لحظة معينة في الوجود دون أن نضعها في سياقها المكاني))[٤٠]

فوصف الروائي لمدينة سمرقند ، ساهم في إعطاء صورة واضحة المعالم لقوة المدينة وحصونها المانعة التي تعدّ من التحصينات الحربية أمام أي معتدٍ على المدينة ، وإعطاء صورة واضحة لقوتها في عهد الشاه فضلاً عن أنها كانت دلالة على شراسة هجوم المغول عليها وعلى باقي البلدان الإسلامية .

وقدم الراوي عبر السرد الموضوعي صورة بصرية (لليورت) وهو البيت المغولي ، عبر ذلك المشهد الوصفي فيقول : ((جلست عنقاء حيث تجلس الفتيات عند مضارب القبيلة يتحدثن ويتضاحكن ويتمازحن ، عرفت أحلامهن المبهرجة وآمالهن البسيطة وحياتهن البيتية ، والدور خيم من لباد مثبتة على هيكل من العماد المشبكة بالعوارض من الأعواد ، وفي أعلاها كوة يتصاعد الدخان منها ، وقد تطلى بالنورة البيضاء وتزين بالرسوم ، وهذا (اليورت) لينقلونه ويطوفون ويجولون به من مرج إلى مرج ..... ، وتحفظ خزائن العائلة في (اليورت) وهي بسط من (بخاري) و (كابل) ، وقد تكون مسلوبة من قافلة من القوافل وصناديق مملوءة بحاجيات النساء وملابسهنّ الحريرية والفضفاضة المطعمة)) [٤١] .

إن الروائي قد اقتنص أدق التفاصيل في وصف البيت المغولي ، فجاء الوصف المكاني لـ ((يتناول ذكر الأشياء في مظهرها الحسي ويقدمها للعين)) [٤٢] .

إذ عمد إلى التدقيق في وصف الأشياء ، وهو من السمات الواقعية فضلاً عن أنه جاء ليساهم في خلق الإبهام بوهم التجربة الحقيقة ، وليست دقة وصف المكان فحسب ، بل الأحداث والشخصيات ، ليعطي دوراً في إحداث الإبهام الواقعي إذ ((تأخذ الصور الذهنية النعاسية أشكالاً غريبة التسلسل الصوري القصير الفترة ولكنها تأخذ فترات أطول في أحيان أخرى قليلة ، وقد تمتد لتأخذ بشكل حكاية ، وتحوي هذه الحكايات طابعاً مميزا ، يلاحظ النعسان فيه أنه يشارك في الأحداث دون أن يخلقها)) [٤٣].

وظف الروائي تقنية الارتداد إلى التاريخ وبناء حياة كاملة بشخوصها وأمكنتها وأحداثها داخل بنية الرواية بقصد إبرازها وإعطاء دلالات تكون إيحاءً وارتباطاً بواقع الشخصية المعيش ، سواء أكان المكان واقعيا أم خيالياً ضيقاً أم متسعاً فان الأهمية ليست في طبيعة

المكان الموظف في النص ، بل لتوظيف التقنيات الروائية ، ((إذ ترتكز الجغرافية الروائية على تقنيات الكتابة الروائية التي تؤدي وظائف دقيقة)) [٤٤] .

وقد كانت معطيات صورا لمكان في النص الروائي قد اعتمدت على معطيات النص التي تضمنت مع قراءاته، وكذلك على ضبط المكان من خلال ((دراسة المقاطع الوصفية ، لكونه متصلاً بلحظات الوصف ، والتي تكون متقطعة تتجاوب مع السرد أو مقاطع الحوار)) [٤٥] .

وهكذا أصبح المكان في النص السردي من أهم مكوناته ، ويعبر عن المتغيرات في التطور الحضاري إذ يتخذ دلالته التاريخية والسياسية والرمزية ، فأصبح التركيز على المكان في الاستراتيجيات النصية المهمة التي يلجأ الكتاب إليها في نصوصهم ومنهم كاتبنا (عمر الطالب) في نصه الروائي (الرقص مع الخيول) ، إذ ((يصبح المكان هو الملجأ أو الملاذات إن لم يصبح هو الأداة التي تناهض الموت وتتحدى سيل الزمن الذي يكسر الملامح ويعوض الأزمنة)) [٤٦] . فأهمية المكان سواء أكان واقعياً أم خيالياً كما تلمسناه في بحثنا ، لا تكمن في طبيعة المكان الموظف في النص ، بل لتوظيف التقنيات الروائية التي تؤدي وظيفة دقيقة في عملية ضبط المكان وإظهار دلالته.

الخاتمة

من خلال هذا البحث يمكن الوصول إلى النتائج الآتية :

أولاً :

ومن خلال دراستنا للمكان في رواية (الرقص مع الخيول) ،يظهر لنا أن المكان قد اكتسب أهمية من خلال ارتباطه بالشخصيات والأحداث، فتظهر ملامحه من خلال توظيفه، وما يجسد التوظيف من دلالات نفسية واجتماعية وسياسية، وقد جاءت صور المكان في الرواية محور الدراسة، متنوعة من حيث طبيعة توظيفه، فظهر بشكل محوري، بحيث تحركت الشخوص، وجرت الأحداث عليه، أو بدأ بشكل هامشي، عن طريق استدعائه من بعض الشخوص .

ثانياً :

لقد شّكل المكان الحقيقي (الواقعي) معادلاً موضوعيا ، جسّد فيه الروائي الواقع الذي عاشه أبناء الشعب العراقي ، وما عاناه من حرمان وجوع في زمن الحرب والحصار.

ثالثاً :

وظف الروائي تقنية الارتداد إلى التاريخ وبناء حياة كاملة بشخوصها وأمكنتها وأحداثها داخل بنية الرواية بقصد إبرازها وإعطاء دلالات تكون إيحاءً وارتباطاً بواقع الشخصية المعيش ، سواء أكان المكان واقعيا أم خيالياً .

رابعاً :

لقد كان للمدن الايرانية حضور كبيرا في تمثيل الأمكنة الحقيقية والمتخيلة التي جسدت الأحداث التاريخية ، مما جعل النص ذا محمولات عدة ودلالات فنية متنوعة .

خامساً :

عمد الروائي (عمر الطالب) إلى توظيف تقنية الحلم ، من خلال تداخل الزمن بأبعاده (الماضي ،الحاضر) لتشكيل دلالات الأمكنة (الحقيقية) و (المتخيلة) عبر حيز اللامعقول الفعلي في كيان واحد ينفي عن الرواية التفكك في أحداثها أو شخصياتها .

سادساً :

لقد تمت دراسة دلالة المكان من خلال تعامل الكاتب مع المكان أما يكون التعامل معه زمنياً كما في وصف (المراعي) (السوق) (المتحف) أو يتعامل تشكيلياً مع مكوناته، مثل (الغرفة ، الخيمة)، في لحظة من لحظات سكونها أو في آن من آنات الزمان المتصلة .

قائمة الهوامش

* عمر محمد مصطفى الطالب ولد بالموصل عام ١٩٣٢ ،كتب في جريدة (الحدباء) مقالات كثيرة ولسنوات طوال وشغل مناصب عديدة وكان عضوا في هيئات صحف ومجلات موصلية وعراقية كما كان مستشاراً لمجلات أخرى . ألف كتباً كثيرة يحتاج المرء لسردها صفحات وصفحات له أكثر من (٣٥)

كتاباً مطبوعاً منها كتابه (ملامح المسرحية العربية) و (القصة القصيرة الحديثة في العراق) و (قراءة ثانية في البارودي) و (القلق والاغتراب في الشعر الجاهلي) و (الاتجاه الواقعي في الرواية العراقية) و (أثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية) وكتابه و (أدب الأطفال في العراق) و (الرواية العراقية دراسات نقدية) و (القصة في الخليج العربي) وكتابه (نظرات في فنون الأدب) و (منهج الدراسات الأدبية الحديثة) و (القصة القصيرة في العراق بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨) وكتابه (المسرحية العربية في العراق) و (كاتبات القصة في العراق) وكتابه (المسرح العربي الإسلامي) وكتابه (الرواية العربية في العراق) وله مجاميع قصصية منها (خمسينات أضاعها ضباب الأيام) وروايات منها روايته (صراع على مشارف قلي) وروايته (الأحداق المجروحة) وروايته (إنسان الزمن الجديد) وروايته (من الذي يأتي ؟) وروايته (الرقص مع الخيول) وروايته (الطريق إلى عدن) ومن كتبه النقدية للمسرح (ظلال فوق الخشبة) هذا فضلا عن مئات المقالات والدراسات والبحوث المنشورة في مجالات موصلية وعراقية .ينظر: عمر الطالب : قاص وروائي ومؤلف في الفن والموسيقى والترجمة والدراما والموروث الشعبي لا موسوعة إلا وله فيها إسهام ... ولا فهرس إلا وله فيه ذكر / حميد المطبعي جريدة الزمان الدولية . ع

٩٦٩٢ / ١٥ / ٤ / ٢٠٠٨ .

Lintevnationl Newspapev – Issue – Date 15 / 4 / 2008 Azzman .

(١) الرواية والمكان / ١٧ .

(٢) من المكان إلى المكان الروائي / خالد حسين حسين /مجلة المعرفة ، ع ٤٤٢ / ٢٠٠٠ / ١٥٢.

(٣) المكان ودلالته / سيزا قاسم / ٦٣ .

(٤) عندما يكون المكان فسحة / أنطوان المقدسي / مجلة المسار/ ع ٢٤ . ٢٥ / ١٩٩٥ / ٣٠ .

(٥) المرجع نفسه / ٣٠ .

(٦) المعجم الفلسفي / إبراهيم مدكور / ١٩١

(٧) إضاءة النص / اعتدال عثمان / دار الحداثة / ٥ .

(٨) التفسير النفسي للأدب / د . عز الدين إسماعيل / ١٥.

(٩) الرواية والمكان/ ياسين النصير / ١٦ – ١٧.

(١٠) إشكالية المكان في النص الأدبي / ٨

(١١) في نظرية الرواية / عبد الملك مرتاض / ١٥٧ .

(١٢) المرجع نفسه / ٢٢ .

(١٣) بنية النص السردي / حميد حمداني / ٥.

(١٤) عالم الرواية / رولان بارت / ت : نهاد التكرلي / ٩٢ .

(١٥) بناء الرواية / سيزا قاسم / ٧٤ .

(١٦) الرقص مع الخيول / رواية / أ . د عمر محمد الطالب .

(١٧)المصدر نفسه/ ٤ .

(١٨) المصدر نفسه / ٤٢ .

(١٩) تقنيات السرد الروائي / فيصل غازي النعيمي / رسالة ماجستير/ إشراف أ.د. إبراهيم جندا ري / كلية التربية / جامعة الموصل ١٩٩٩/ ١٤٠ .
(٢٠) الرؤى المتغيرة في روايات نجيب محفوظ / إبراهيم جنداري جمعة /مجلة الموقف الأدبي / عدد ٣٢ / أيلول / تشرين الأول / ١٩٩٩/ ٧١ .
(٢١) الرقص مع الخيول / ٧٤ .
(٢٢) المصدر نفسه /٩٠ .
(٢٣) في أدب الرواقصصي يحيى الطاهر عبد الله / محمد ذنون الصائغ / ١٠٩ .
(٢٤) النقد والايدولوجيا (من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي) / حميد لحمداني/ ٥١ .
(٢٥) في سوسيولوجيا النص الروائي / عبد الرزاق عيد / ٣٧ .
(٢٦) النقد والنقد الروائي / محمد سورتي / ٧٦ .
(٢٧) في نظرية الرواية / ١٤٤ .
(٢٨) الرقص مع الخيول / ١٢٥.
(٢٩) المصدر نفسه/ ٢ .
(٣٠) المصدر نفسه / ٢ .
(٣١) تيارات فلسفية معاصرة / علي عبد المعطي محمد / ٢٨٠ .
(٣٢) الإبداع الفني والواقع الإنساني / خرابتشنكو/ت: شوكت يوسف / ٢٨٥ .
(٣٣) عالم حنا مينا الروائي / محمد كامل الخطيب وعبد الرزاق عبد /٦٩.
(٣٤) الحلم وتأويله / سيجموند فرويد / ت : جورج طرابيشي / ١٦ .
(٣٥) الرقص مع الخيول / ١٢٧ .
(٣٦) بناء الرواية /١١١.
(٣٧) الرقص مع الخيول / ١٣١ .
(٣٨) بنية الشكل الروائي / ١٨٠ .
(٣٩) الرقص مع الخيول / ١٣٥ .
(٤٠) نشوء الرواية / أيان واط / ت : عبد الكريم محفوظ / ٢٩ .
(٤١) الرقص مع الخيول / ١٣.
(٤٢) بناء الرواية / ٧٩ .
(٤٣) انشطار الذهن / بيتر ماكلير / ت : حلمي نجم / ١١٢ .
(٤٤) الحيز المكاني في الروائي / جان بول غولتشتاين / ت : حامد فرزات / ١٥٥ .
(٤٥) بينة النص السردي / ٦٢ – ٦٣ .
(٤٦) الرواية الجديدة في مصر (دراسة في التشكيل والايدولوجيا) / د . محمد بدوي/.

قائمة المصادر والمراجع

(١) الإبداع الفني والواقع الإنساني / خرابتشنكو/ت: شوكت يوسف / وزارة الثقافة والإرشاد القومي / دمشق /ط١/ ١٩٨٣ .

(٢) إشكالية المكان في النص الأدبي / دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد /ط١/ ١٩٨٦

(٣) إضاءة النص / اعتدال عثمان / دار الحداثة / بيروت / ط٢/ ١٩٨٨.

(٤) انشطار الذهن / بيتر ماكلير / ت : حلمي نجم / دار الطليعة للطباعة والنشر /بيروت /ط١/١٩٨٨.

(٥) بناء الرواية / سيزا قاسم / . دار التنوير للطباعة والنشر / بيروت / ١٩٨٥

(٦) بنية النص السردي/ حميد حمداني/المركز الثقافي العربي / بيروت / الدار البيضاء / ط ١/ ١٩٩٣ / .

(٧) التفسير النفسي للأدب / د . عز الدين إسماعيل / دار غريب / القاهرة/ ط٤/ ١٩٨٤

(٨) تقنيات السرد الروائي / فيصل غازي النعيمي / رسالة ماجستير/ إشراف أ.د. إبراهيم جندا ري / كلية التربية / جامعة الموصل ١٩٩٩

(٩) تيارات فلسفية معاصرة / علي عبد المعطي محمد / دار المعرفة الجامعية / مصر / الإسكندرية/ ط١ / ١٩٧٤/ ٢٨٠ .

(١٠) الحلم وتأويله / سيجموند فرويد / ت : جورج طرابيشي / دار الطليعة للطباعة والنشر / بيروت/ ط١ .

(١١) الحيز المكاني في الروائي / جان بول غولتشتاين / ت : حامد فرزات / مجلة الآداب الأجنبية /عدد ٧٠ / السنة ١٨ / دمشق / ربيع ١٩٩٢

(١٢) الرقص مع الخيول / رواية / أ . د عمر محمد الطالب / دار الفداء / عمان . الأردن /ط١/ ١٩٩٦ .

(١٣) الرؤى المتغيرة في روايات نجيب محفوظ / إبراهيم جندا ري جمعة /مجلة الموقف الأدبي / عدد ٣٢ / أيلول / تشرين الأول / ١٩٩٩

(١٤) الرواية الجديدة في مصر (دراسة في التشكيل والايدولوجيا) / د . محمد بدوي/ الموسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع / بيروت / ط١/١٩٩٣ .

(١٥) الرواية والمكان/ ياسين النصير/ وزارة الثقافة والإعلام / بغداد/ ط ١

(١٦) عالم حنا مينا الروائي / محمد كامل الخطيب وعبد الرزاق عبد / دار الآداب للطباعة والنشر / بيروت /ط١/ ١٩٧٩.

(١٧) عالم الرواية / رولان بارت / ت : نهاد التكرلي / مراجعة فؤاد التكرلي و محسن الموسوي / دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد / ط١.

(١٨) عندما يكون المكان فسحة / أنطوان المقدسي / مجلة المسار/ ع ٢٤ . ٢٥ / ١٩٩٥

(١٩) في أدب الرواقصصي يحيى الطاهر عبد الله / محمد ذنون الصائغ / اصدرات دائرة الثقافة والإعلام / الشارقة/ ط ١ / ٢٠٠٤

(٢٠) في سوسيولوجيا النص الروائي / عبد الرزاق عيد / دار الأهالي للطباعة والنشر / دمشق/ ط١ / ١٩٨٨
(٢١) في نظرية الرواية / عبد الملك مرتاض / سلسلة عالم المعرفة/عدد ٢٤٠/ الكويت / ١٩٩٨
(٢٢) المعجم الفلسفي / إبراهيم مدكور / مجمع اللغة العربية / القاهرة/ ط١ / ١٩٨٣ .
(٢٣) المكان ودلالته / سيزا قاسم /المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع / بيروت /ط١/١٩٩٣
(٢٤) من المكان إلى المكان الروائي / خالد حسين حسين / مجلة المعرفة ، ع ٤٤٢ / ٢٠٠٠
(٢٥) نشوء الرواية / أيان واط / ت : عبد الكريم محفوظ / منشورات وزارة الثقافة السورية/ دمشق / ط١ /١٩٩١ .
(٢٦) النقد والايدولوجيا (من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي) / حميد لحمداني / المركز الثقافي العربي / دار البيضاء / ط١ /١٩٩٠ .
(٢٧) النقد والنقد الروائي / محمد سورتي / مج٢ / أفريقيا الشرق / الدار البيضاء / ط٢ /١٩٩٤

The place pictures in novel of (The Dancing with the Horses)
For Omer AL-Talib

Beedaa Hazam Saadoun
Scientific Title : Teacher
To
The College of Education University of Mosul

The novelistic art in the Iraq consider from the literary arts which rend its direction during the second half of the 20 century. The novel in the Iraq is a part from the Arabic novel, this research tackle the places in novel of (The Dancing with Horses) where the place take form and develop as a beginning passing in its topic and reaching to its ending through the descriptive and analysis system, illustrate the place and its types, dimensions and its sense regarding it is an artistically and actual component in the building of the Arabic novel.

The study consist of an introduction and two themes and conclusion which include the most important results of the study

and rules which reached by the research, then the research append with list for the most important resources of it. With mention that the first theme indicate to the writer (Omer AL-Talib) and his literary position and his inventions, while the second one deal with the axis of the study, the place in novel of (The Dancing with the Horses), its types, sense, forms, and dimensions.